ذي النورين عثمان
رضي الله عنه

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ويلتقي نسبه بنسب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في عبد مناف.

وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة.

لقبه: كان عثمان – رضي الله عنه – يلقب بذي النورين، وقد ذكر بدر الدين العيني في شرحه على صحيح البخاري، أنه قيل للمهلب بن أبي صفرة: لم قيل لعثمان ذو النورين؟ فقال: لأنا لا نعلم أحدا أرسل سترا على بنتي نبي غيره. وقيل: سمي بذي النورين لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن في كل ليلة في صلاته، فالقرآن نور وقيام الليل نور– ولد في مكة بعد عام الفيل بست سنين.

حياة عثمان – رضي الله عنه – مع القرآن الكريم: له أقوال تدل على حبه الشديد للعيش مع كتاب الله تعالى؛ فعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن –كعثمان بن عفان،

وعبد الله بن مسعود وغيرهما- أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي - صلى الله عليه وسلم - عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة.

أقوال عثمان - رضي الله عنه - في القرآن الكريم

حيث قال: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل.

وقال: إني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله (يعني المصحف).

وقال: حُبب إليَّ من الدنيا ثلاث: إشباع الجيعان، وكسوة العريان، وتلاوة القرآن.

وقال: أربعة ظاهرهن فضيلة وباطنهن فريضة: مخالطة الصالحين فضيلة والاقتداء بهم فريضة، وتلاوة القرآن فضيلة والعمل به فريضة، وزيارة القبور فضيلة والاستعداد للموت فريضة، وعيادة المريض فضيلة واتخاذ الوصية منه فريضة.

وكان - رضي الله عنه - حافظا لكتاب الله، وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف، فقيل له في ذلك فقال: إنه مبارك جاء به مبارك. وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه.

وقالت امرأة عثمان يوم الدار: اقتلوه أو دعوه، فوالله لقد كان يحيي الليل بالقرآن في ركعة، وقد ذكر عنه أنه قرأ القرآن ليلة في ركعة لم يصل غيرها، وقد تحقق فيه قول الله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ}.

ملازمته للنبي – صلى الله عليه وسلم – في المدينة:

وهذا عثمان يحدثنا عن ملازمته لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقول: إن الله –عز وجل– بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمن، فهاجرت الهجرتين الأوليين، ونلت صهر رسول الله، ورأيت هديه.

فضائل عثمان:

١. عن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: كنت مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «افتح له، وبشره بالجنة» ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «افتح له وبشره بالجنة» ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي – صلى

الله عليه وسلم – فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: «افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه» فإذا هو عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فحمد الله، ثم قال: الله المستعان. رواه البخاري.

٢. عن أنس – رضي الله عنه – قال: صعد النبي – صلى الله عليه وسلم – أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: «اسكن أحد –أظنه ضربه برجله– فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان». رواه البخاري.

٣. وقال: «ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!». رواه مسلم.

٤. سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا» أو قال «اختلافا وفتنة»، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالأمين وأصحابه»، وهو يشير إلى عثمان بذلك. رواه أحمد.

المبحث الثالث: أهم صفاته

إن شخصية ذي النورين تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف – رضي الله عنه – بصفات القائد الرباني، ومن صفاته:

أولاً: العلم والقدرة على التوجيه والتعليم:

قال: أما بعد، فإن الله بعث محمدا بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمن بما بعث محمد – صلى الله عليه وسلم –، ثم هاجرت الهجرتين كما قلت، ونلت صهر رسول الله – صلى الله عليه وسلم، وبايعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم استخلف بعده أبو بكر فبايعناه فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم استخلف عمر فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم استخلفني الله أفليس لي عليكم مثل الذي كان لهم عليَّ؟ قال: فقلت: بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟

ثانيًا: الحلم: إن الحلم ركن من أركان الحكمة، وكانت له مواقف كثيرة تدل على حلمه وضبطه لنفسه، ومن أوضح المواقف التي تدل على حلمه قصته في حصار الثائرين عليه؛ حيث أمر من عنده من المهاجرين والأنصار أن ينصرفوا إلى منازلهم ويدعوه وكانوا قادرين على منعه، وكان حلمه مبنيا على شوقه إلى لقاء ربه، وإرادته حقن دماء المسلمين ولو بقتله.

ثالثًا: السماحة: عن عطاء بن فروخ: أن عثمان – رضي الله عنه –

اشترى من رجل أرضا فأبطأ عليه، فلقيه فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنك غبنتني فما ألقى من الناس أحدًا إلا وهو يلومني، فقال: أو ذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا، وقاضيا ومقتضيا». رواه النسائي.

هذا مثل رفيع في السماحة في البيع والشراء، وهو يدل على ما جبل عليه عثمان – رضي الله عنه – من الكرم وعدم التعلق بالدنيا، فهو يستعبد الدنيا لخدمة مكارم الأخلاق التي من أهمها الإيثار، ولا تستعبده الدنيا، فتجعل منه أنانيا يؤثر مصالحه الخاصة وإن أضر بالناس.

رابعًا: اللين: فكان – رضي الله عنه – لينًا على رعيته عطوفًا على أمته، يخاف أن يصاب أحد دون علمه فلا يتمكن من تلبية حاجته، وكان يتتبع أخبار الناس، فينصر الضعيف، ويأخذ الحق من القوي – رضي الله عنه –.

خامسًا: العفو: عن عمران بن عبد الله بن طلحة: أن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – خرج لصلاة الغداة فدخل من الباب الذي كان يدخل منه، فزحمه الباب فقال: انظروا، فنظروا فإذا رجل معه

خنجر أو سيف، فقال له عثمان – رضي الله عنه –: ما هذا؟ قال: أردت أن أقتلك، قال: سبحان الله!! ويحك، علام تقتلني؟ قال: ظلمني عاملك باليمن، قال: أفلا رفعت ظلامتك إليَّ فإن لم أنصفك أو أعديك على عاملي أردت ذلك مني؟ فقال لمن حوله: ما تقولون؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، عدو أمكنك الله منه، فقال: عبد همَّ بذنب فكفه الله عني، ائتني بمن يكفل بك، لا تدخل المدينة ما وليت أمر المسلمين، فأتاه برجل من قومه فكفل به فخلى عنه.

سادسًا: التواضع:

قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا}.

عن عبد الله الرومي قال: كان عثمان بن عفان يأخذ وضوءه لنفسه إذا قام من الليل، فقيل له: لو أمرت الخادم كفاك، قال: لا، الليل لهم يستريحون فيه. فهذا مثل من اتصاف أمير المؤمنين عثمان – رضي الله عنه – بالرحمة، فهو مع كبر سنه وعلو منزلته الاجتماعية يخدم نفسه في الليل ولا يوقظ الخدم.

سابعاً: الحياء والعفة. الحياء من أشهر أخلاق عثمان – رضي الله عنه – وأحلاها، تلك الصفة النبيلة التي زينه الله بها، فكانت فيه منبع

الخير والبركة، ومصدر العطف والرحمة، فقد كان – رضي الله عنه – من أشد الناس حياء، فقد ذكر الحسن البصري –رحمه الله– عثمان بن عفان يوما وشدة حيائه فقال: إنه ليكون في البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه ثوبه ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه.

ثامناً: الكرم: كان عثمان – رضي الله عنه – من أكرم الأمة وأسخاها، وله في ذلك مواقف ومآثر لا تزال غرة في جبين التاريخ الإسلامي؛ فقد مر معنا ما قام به في غزوة تبوك، وشراؤه لبئر رومة وتصدقه به على المسلمين، وتجهيز جيش العسرة في تبوك، وتوسيعه للمسجد النبوي في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –، وتصدقه بالقافلة المحملة بالخيرات في عصر الصديق – رضي الله عنه – وكان – رضي الله عنه – يعتق كل جمعة رقبة في سبيل الله منذ أسلم، فجميع ما أعتقه ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا.

تاسعا: شجاعته: يعد عثمان – رضي الله عنه – من الشجعان، والدليل على ذلك:

١– **خروجه للجهاد في سبيل الله،** وحضوره المشاهد كلها مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وإذا اتهم بتخلفه عن بدر فقد سبق

أن قلنا إن ذلك كان بأمر من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ثم عده رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الذين شهدوها وأعطاه سهمه منها، ونال أجره إن شاء الله، وليس بعد كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كلام.

٢- **سفارة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –** له إلى قريش في الحديبية:

امتثل عثمان – رضي الله عنه – –كما مر معنا– لطلب الرسول – صلى الله عليه وسلم – وذهب إلى قريش وهو يعرف ما أقدم عليه، غير أن رجولته وبطولته قد أبتا عليه إلا الامتثال والطاعة.

إن من يقبل السفارة في مثل تلك الظروف لشجاع عظيم، وبطل من الأبطال النوادر، صحيح أنها أمر من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكنها في الوقت نفسه شجاعة لا يمكن أن يقبل بها جبان أو رجل عادي.

٣- **الفداء بالنفس:** عندما حوصر – رضي الله عنه – في داره طلب منه المارقون التنازل عن الخلافة لا خيار غيره أو القتل، أو عزل ولاته وتسليم بعضهم، فأصر على موقفه مضحيا بنفسه من أن تصبح الخلافة بيد ثلة تزيح من ترغب، وتعين من تحب أو تنزع الخلافة من

صاحبها الذي اختارته الأمة، ويصبح ذلك قاعدة. فأصر على موقفه وهو يرى الموت في سيوف المحاصرين،

عاشراً: الحزم: إن صفة الحزم في شخصية ذي النورين أصيلة، ونجد الصديق – رضي الله عنه – عندما عرض عليه الإسلام قال له: ويحك يا عثمان إنك رجل حازم، ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان التي يعبدها قومنا. ومن المواقف التي تدل على حزمه: حمايته لنظام الخلافة من الضياع، فلم يجب الخارجين إلى خلع نفسه من الخلافة، فكان بذلك يمثل الثبات واستمرار النظام؛

الحادي عشر: العدل: واتصف عثمان – رضي الله عنه – بصفة العدل؛ فعن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه دخل على عثمان – رضي الله عنه – وهو محصور فقال له: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى، وهو ذا يصلي بنا إمام فتنة –عبد الرحمن بن عديس البلوى– وأنا أُحرج من الصلاة معه، فقال له عثمان: إن الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم.

الثاني عشر: خوفه من الله وبكاؤه ومحاسبته لنفسه: فقد جاء في إحدى خطبه: أيها الناس، اتقوا الله؛ فإن تقوى الله غنم، وإن أكيس

الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نورا لقبره، ويخشى أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيرا. وقد روى عنه قوله: لو أني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتها يؤمر بي لتمنيت أن أصير رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.